ملامح العهد الكاشي في العراق القديم (1595ق.م ـ 1157 ق.م)

Features of the Kassite's period in ancient Iraq (1595 BC -1157 BC)

سمير العيداني[1]
جامعة محمد بوضياف . المسيلة ، samiryachir@ymail.com

تاريخ الاستلام: 2019/11/22 تاريخ القبول: 2020/06/06 تاريخ النشر: 2021/01/16

ملخص:

يشمل التاريخ السياسي و العسكري البابلي ، مختلف السلالات التي مرت على حكم مدينة "بابل " ، ويضم حسب قوائم الملوك البابليين إحدى عشرة أسرة ، تبدأ من "السلالة البابلية الأولى " التي يعرف عهدها بالعهد البابلي القديم أو "سلالة حمورابي"، ثم "السلالة البابلية الثانية" و التي عرفت بـ "مملكة بلاد البحر" و كذلك "السلالة البابلية الثالثة " و المعروفة بـ"العهد الكاشي" لتتوالى السلالات ، و صولا الى "السلالة البابلية الحادية عشر" و المعروفة بـ"الدولة الكلدانية "(626 ق.م . 539 ق.م) ، و في هذه الدراسة سأركز على السلالة البابلية الثالثة المعروفة بالسلالة "الكاشية" التي تعتبر أطول الأسر البابلية زمنا في الحكم لكنها الأكثر غموضا في الدراسات التاريخية .

كلمات مفتاحية: العهد الكاشي ،. السلالات البابلية ،. السلالة البابلية الثالثة ،. بابل ،. الحكم الكاشي .

Abstract:

Babylonian political and military history includes the various dynasties that passed through the rule of the city of Babylon, and includes, according to the lists of Babylonian kings, eleven dynasties, starting with the "First Babylonian dynasty", known as the Old Babylonian Dynasty or the "Hammurabi Dynasty", and then the "Second Babylonian Dynasty". Known as the "Kingdom of the Land of the Sea" and the "Third Babylonian Dynasty", known as the "Kashi Dynasty", and to the "Babylonian 11th Dynasty", known as

[1] سمير العيداني ، samiryachir@ymail.com

the "Chaldean State", (626 B.C./ 539 B.C.), i will focus on the Babylonian dynasty. The third known as the "Kashia" dynasty, which is considered the longest-reigning Babylonian dynasty but the most mysterious in historical studies.

Keywords: The Kashi Era , babylonian dynasties, the Third Babylonian dynasty, Babylon, the Governance Kashi..

Résumé:

L'histoire politique et militaire babylonienne comprend les différentes dynasties qui passèrent par la domination de la ville de Babylone, et comprend, selon les listes des rois babyloniens, onze dynasties, à commencer par la « première dynastie babylonienne », connue sous le nom de « dynastie babylonienne ancienne » ou la « dynastie Hammourabi », puis la « deuxième dynastie babylonienne ». Connu sous le nom de « Royaume de la terre de la mer » et de la « Troisième dynastie babylonienne », connue sous le nom de « dynastie Kashi », et de la « 11e dynastie babylonienne », connue sous le nom d'« État chaldéen », (626 av. J.-C./ 539 av. J.-C.), je me concentrerai sur la dynastie babylonienne. La troisième est connue sous le nom de dynastie « Kashia », considérée comme la dynastie babylonienne la plus ancienne, mais la plus mystérieuse des études historiques.

Mots clés : L'ère Kashi, dynasties babyloniennes, la troisième dynastie babylonienne, Babylone, la gouvernance Kashi .

- **مقدمة :**

يتميز التاريخ العراقي القديم بالتراكمية الحضارية ، إذ يشمل المنجزات التي أبدعتها مختلف الدول التي توارثت حكم المنطقة ، كما تتميز أحداثه . السياسية و العسكرية . بالتشاركية حيث صنعتها شعوب متباينة بعضها أصلية . محلية . و أخرى وافدة من مناطق مجاورة ، وبعضها غازية استغلت ضعف دول المنطقة و انفردت بالحكم و السلطة ، و يعد الكاشيون من الأجناس البشرية التي مثلت فترة حكم طويلة في العراق القديم ، و هم من السلالات التي تضاربت الآراء حول أصولهم و أحوالهم و ظروف وصولهم الى حكم بابل ، كما اتصف حكمهم بالغموض التاريخي و الجمود الحضاري . حسب أغلب الدراسات . ، فترى ما هو أصل الكاشيين ؟ و كيف كانت فترة حكمهم في بلاد ما بين النهرين ؟ و ماهي منجزاتهم الحضارية ؟

و تهدف هذه الدراسة الى محاولة معرفة أوضاع العراق القديم عامة و بلاد بابل خاصة في فترة الحكم الكاشي ، إضافة الى محاولة ابراز دورهم المحلي و الإقليمي ، و في سبيل ذلك استهليت دراستي بالتعريف بالكاشيين و الأحداث التي تتعلق بهم قبيل تأسيس دولتهم ، ثم تحدثت على استغلالهم للغزو الحثي للوصول الى حكم بابل ، ثم عرجت على الأحداث السياسية و العسكرية التي عرفها تاريخهم و اهم ملوكهم ، كما أشرت الى بعض منجزاتهم الحضارية العمرانية و الأدبية و الدينية ، و ختمت بالتفصيل في علاقات الكاشيين خارجيا من خلال مراسلات تل العمارنة .

1. التعريف بالقبائل الكاشية : و قد فضلت معالجة ذلك عبر التطرق الى أصولهم و مرحلة تواجدهم المبكر كالآتي :

1.1 . أصل الكاشيين :

ثمة آراء تنسب الكاشيين الى اسم معبودهم "كاشو"، و تربط بينهم وبين جماعات متأخرة عنهم في الزمن ذكرها بطليموس الجغرافي باسم Kassaeans و ذكرها غيره باسم Kissians (عبد العزيز صالح، 2012،ص729. نخبة من العلماء . 1997 ص324) ، و لفظ "كاشو" على علاقة ببحر قزوين ، كما أن تلك البقايا اللغوية القليلة للكاشيين و التي وصلت إلينا في شكل فهارس مع ترجماتها الأكادية ، و كأنها ترينا نوعا من القرابة مع اللغات القوقازية ، و تدلنا أسماء آلهتهم التي بقيت حية في أسماء العلم لديهم الى تلك العلاقة مع بلاد القوقاز، كما تقودنا بعض أسماء آلهة الكاشيين مثل "شورياش" الذي ربطه بعضهم مع إله الشمس الهندو أوربي "سريا" و مثل الإله "ماروتاش" (ماروت الآري) أو مثل "بورياش" (اليوناني) الى الظن أن الكاشيين كانوا على صلة بالهنود الغربيين .(أنطوان مورتكات . 1997 . ص191.) ولذلك فحسب المؤلف عبد العزيز صالح لم يكن هؤلاء القادمون الجدد من نسل الساميين و لعلهم كانوا من نسل جماعة المهاجرين الهندو.أوربيين.

1-2 . التواجد الكاشي المبكر في المنطقة :

و اكتفى الكاشيون بالتسلل السلمي البطيء الى مدن العراق القديم المتحضرة ، و عملوا فيها كأجراء و مرتزقة (عبد العزيز صالح. 2012 . ص730.) ، حيث تذكر لنا النصوص خلال القرن الس16 ق.م الكثير من أسماء الكاشيين عملوا في مواسم الحصاد أو كانوا كمستخدمين في الحقول ، مما يدفع الى ان تواجدهم في البداية كان يتم سلما (Barbara A Somervill , 2010 .P47. ،أنطوان مورتكات ،1997 . ص190.)) ، بينما ظلت قبائلهم الكثيفة الطامعة في الخيرات و السيطرة تتربص بدولة بابل . على الأقل منذ منتصف العهد البابلي القديم حيث حاول "سمسو. إلونا" (1749 ق.م ، 1712 ق.م) خليفة حمورابي أن يحارب طلائع الكاشيين التي انحدرت مع شعوب مناطق الحدود في السنة التاسعة

من حكمه ،و كان موطن هؤلاء كالجوتيين من جبال ايران المجاورة و على وجه التقريب من منطقة "لورستان" (Walter Sammerfeld, 1995 . p 917 ، محمد بيومي مهران، 1990، ص 298.).

و لربما استعان الكاشيون بالحثيين لمعاونتهم في الهجوم على بابل و المشاركة في الغنائم ، و قد ثبت أن غاية الملك الحثي "مورشيلي الأول"كانت محالفة الكاشيين لإيقاف الزحف الحوري ، و لربما كان الهجوم الحثي على بابل لا يعدو أن تكون غايته النهب ، حيث وقع ذلك في عهد ملك بابل الحادي عشر "سمسو". ديتانا" حوالي 1595 ق.م ، و هنا لم يبقى الملك الحثي في بابل مدة طويلة إذ غادر فور سماعه خبر ثورة قامت ضده في عاصمته "خاتوشا" حاملا معه تمثالي الإله "مردوخ 'و زوجته(صلاح أبو السعود . 2011 . ص41 ، مارغريت روتن .1984،ص36)

و هنا استطاع الكاشيون قطف ثمار الحملة التي شنها الحثيون فعمدوا لاستغلال الصراع الذي كان بين مختلف القوى السياسية (ميتاني . أشور . مملكة بلاد البحر. الحثيون) لمنفعتهم الخاصة و وصلوا الى انجاز تلك المكاسب التي حصلوا عليها بشكل فاق اعتمادهم على قدراتهم الذاتية ، و بصورة عامة لا يمكن اعتبار النصف الثاني من القرن 16 ق.م في بلاد بابل بالنسبة للكاشيين سوى عصر التمركز و تثبيت دعائم دولتهم.(أنطوان مورتكات . 1997، ص181.)

و بالإمكان أن يكون الملوك الكاشيون الأوائل اللذين وردت أسماؤهم ضمن قوائم الملوك البابلية أمثال "جانداش" و "أجوم " و "كاشتلياش" كمعاصرين في حكمهم لآخر ملوك البابليين و بخاصة منهم . على الأقل . الملوك الثلاثة المتأخرين وصولا لحكم الملك البابلي "سمسو. ديتانا ".(Walter Sammerfeld, 1995 . p 918) ، و هذا ما يفسر الفترة التي تعود الى حوالي 1680 ق.م أو أسبق من ذلك (أي لنهاية القرن 18 ق.م) ، و التي ينسبها المؤرخون الى بدايات التاريخ الكاشي (مثل حكم الملك الكاشي الأول "كانداش "(1730ق.م . 1705 ق.م) قبل السيطرة على بابل و لعلها تمثل حكم االملوك الكاشيين في إماراتهم قبل سقوط بابل على يد الحثيين، و هنا يؤكد الدارسون أن البداية العملية للملوك الكاشيين في حكم مدينة بابل كان منذ عهد الملك "أجوم الثاني كاكريم "(1595 ق.م . 1545 ق.م) و الذي قام بإرجاع تمثالي الإله القومي البابلي "مردوخ" marduk و زوجته "زربانيت "Zarpanit (زربانتيوم) في حوالي 1570 ق.م .

(Barbara A Somervill , 2010 .P47)

2. محطات التاريخ الكاشي في بابل :

شكل الكاشيون طبقة مسيطرة من الأمراء العسكريين زاحموا العسكريين البابليين ، و دفعوا بهم الى المرتبة الثانية(عبد العزيز صالح، 2012،ص730.) ، و اتصف عهدهم عموما بميزة عدم التطور، أي الجمود الحضاري مقارنة بالأدوار التاريخية التي مرت عليها منطقة بلاد الرافدين ، كما عرف عن فترة حكمهم لبابل بالغموض و قلة الوضوح للدارسين (محمد بيومي مهران، 1990، ص 299) ، فبالرغم من

تواصل حكمهم في 36 ملكا **(أنظر الشكل 1)** ، إلا أن الإشارات التاريخية المتعلقة ببعض جوانب تاريخهم بعد تأقلمهم في بلاد بابل و استتباب الأمر لهم تبقى قليلة .(رشيد الناظوري .1958 ، ص67.)

حتى أن "أنطون مورتكات يصف الغموض الذي لف تاريخ الكاشيين بالظلمة حين يقول :" **ولقد كانت هذه المرحلة من الظلمة بحيث لم يستطع الملوك الكاشيون معها تزويدنا بأي شيء حتى على أنفسهم بعد مدة طويلة من الآن** (يقصد القرن 16 ق.م) ، **حتى لا نكاد نعلم معها عن ملوكهم أكثر من الأسماء و لم نستطع حتى التأكد من كيفية تتابعهم في تبوء العرش الكاشي**". .(أنطوان مورتكات . 1997. ص181.)

و بدأ التاريخ الكاشي في التجلي بمحاولة سلالة "دولة البحر"(السلالة البابلية الثانية) في الجنوب ، أن تغنم من فرصة انهيار السـ لطة البابلية المركزية لتوسع مناطق نفوذها نحو الشمال ، إلا أن بعض ملوك الكاشيين وقفوا ضدهم و منهم الملك " كانداش" ، بعد أن جمع شتات القبائل الكاشية في البلاد، و سمى نفسه "**ملك بابل و ملك الأقاليم الأربعة و ملك سومر و أكاد**" ، بعدها ظل الكاشيون في نزاع مستمر مع هؤلاء طيلة حكم الملوك الأوائل و هم "كانداش" و "أجوم " و " كاشتلياش الأول"، الى أن استطاع الملك الكاشي الثاني عشر " أولام . بورياش" التغلب على آخر ملوك دولة البحر " أيا . جميل" و طرده لبلاد عيلام .

و رغم اعتبار الكاشيين سلالة حاكمة لبلاد ما بين النهرين ، إلا أن الأمر لم يكن جميعه بأيديهم طيلة تاريخهم حيث نازعتهم الأمر "دولة البحر" على المناطق الجنوبية في بداية عصرهم حتى تغلبوا عليها ، وتحكم الأشوريون في المناطق الشرقية و الشمالية الشرقية من نهر دجلة و تحكم الحوريون في المناطق الغربية و الشمالية الغربية من نهر الفرات ثم ظهر بعدهم الميتانيون . (عبد العزيز صالح،2012،ص ص735-736 .،أحمد فخري 1963،ص42،p721. 1995,"Walter Sammerfeld" ، محمد بيومي مهران . 1990 ، ص299.)

و تاريخيا حكم بلاد الرافدين خلال العهد الكاشي عدد كبير من الملوك ، لكن أخبارهم و إنجازاتهم تبقى غامضة لعوامل تتعلق بالتاريخ الكاشي عامة ، حيث بعد وفاة الملك الكاشي" أولام . بورياش" خلفه في الحكم "أجوم الثالث" ثم "كارايندا ش" ثم تعاقب على العرش "كاداشمان . خاربي الأول"(1410 ق.م . 1386 ق.م) و"كوريجالزو" و "كاداشمان . انليل الأول" (1386ق.م .1367 ق.م) و "بورنا . بورباش الثاني"(1367 ق.م . 1346ق.م) و "كاداشمان . خاربي الثاني" (1346ق.م .1343ق.م) و "كويجالزو الثاني"(1343ق.م .1321ق.م) ثم أعقب عدة ملوك كان آخرهم" كاداشمان . خاربي الثالث" (1241ق.م .1238 ق.م) الذي هزمه الجيش الأشوري في عهد الملك" توكولتي . نينورتا الأول" و حاول انهاء الحكم

الكاشي عهد الملك الكاشي "كاشتلياش" . (توفيق سليمان .1985.ص251. Georges Roux. ,1992.P241.)

و كان القضاء النهائي على دولة الكاشيين على يد العيلاميين عهد ملكهم "شترك نخنته" (1207 . 1171 ق.م) و الذي تقدم نحو بابل في عام 1160ق.م و ذبح ملكها "زبايا . شوما . أدينا " و نهب كثيرا من آثارها ،و أما آخر ملوك الكاشيين فهو "إنليل . نادين أهي" (1159 ق.م . 1157 ق.م) فلم يذكر في قائمة الملوك الكاشيين و انما ذكر محرفا في بعض النصوص الكاشية . محمد بيومي مهران ، 1990،ص 307 ، و انظر: عبد العزيز صالح ، 2012،ص 743. وأنظر: أحمد أمين سليم ، 2000، ص251.)

الشكل 1: جدول ترتيب ملوك السلالة البابلية الثالثة (الكاشية) (هنري س عبودي ، 1991 ، ص ص198-199 . بتصرف .)

الملك	ستوات الحكم	الملك	ستوات الحكم
كلنداش	1731-1746	بورنا بورياش الثاني	1347-1375
أجوم الأول	1711-1731	نازيبوجاش	////
كاشتلياش الأول	1690-1711	كوريجالزو الثاني	1324-1345
أوشي	////	نازيماروتاش	1298-1323
أبيراتاس	1683-1690	كادشمان تورجو	1280-1297
كاشتلياش الثاني	////	كادشمان إنليل الثاني	1265-1279
أورزيكو رو ماش	////	كودور إنليل	1256-1264
هاربا سيباك	////	شاجاركتي شورياش	1243-1255
ثيبتا كزي	////	كاشتلياش الرابع	1235-1242
أجوم الثاني	القرن الخامس عشر	إنليل نادين شومي	1228-1234
بورنابورياش الأول	////	كادشمان هاربي الثاني	1225-1227
كاشتلياش الثالث	////	أدد شوما إديتا	1219-1224
أولام بورياش	////	أدد شوما أوصر	1189-1218
أجوم الثالث	////	ميليشاك الثاني	1174-1188
كادشمان هاربي	////	مردوك أبال أدين الأول	1161-1173
كراندأش	1445-1471	زابابا شوما أدينا	////-1160
كوريجالزو الأول	1379-1390	إنليل نادين آهي	1157-1159
كادشمان انليل الأول	القرن الرابع عشر		

3. المنجزات الحضارية الكاشية:

بالرغم من الركود الحضاري الذي واكب فترة العهد الكاشي ، الا أن المتخصصين ينسبون لهم بعض البصمات الحضارية ، و التي فضلت أن أشير إليها كالآتي :

1-3 . في المجال العمراني:

من المعروف عن الكاشيين أن أعدادهم كانت قليلة و حضارتهم القومية كانت خشنة و ضئيلة ، لذلك اكتفوا بأن جعلوا أنفسهم طبقة أرستقراطية حاكمة بين السكان الأصليين ، فانتفعوا بحضارة بلاد النهرين و قلدوا فنونها في مبانيهم و معابدهم و تماثيلهم ، و اعتبروا اللغة البابلية السامية لغة للكتابة الى جانب لغتهم الخاصة ، و اتبع الكاشيون عادة ملكية في اتخاذ رعاية المعابد ستارا،ينسي الناس أصلهم الدخيل، فأصلحوا معابد بابلية كثيرة و أعادوا بناء بعضها ، وبقيت من آثار معابدهم أطلال زيقورة ضخمة بجانب قصر الحكم في عاصمتهم " دور . كوريجالزو" (عقرقوف قرب بغداد الحالية).(عبد العزيز صالح ، 2012، ص733.)

و بخصوص مدينة "دور كوريجالزو" فتقع خرائبها على بعد بضعة كيلومترات الى الشمال من "بغداد" ، حيث اتخذ الملوك الكاشيون منها عاصمة ثانية لدولتهم ، والراجح أن المؤسس الأول للمدينة هو "كوريجالزو" الأول أحد ملوك القرن الخامس عشر و والد الملك "كاردنياش" ، أما المتمم لبنائها فهو "كوريجالزو الثاني "(.Georges Roux. Ancient Iraq .P249 ، محمد بيومي مهران ، 1990 ،ص305.) ، وفي شكل المدينة العمراني يظهر التأثير البابلي القديم (سلالة حمورابي) واضحا ، مع وجود معالم الطابع العمراني الكاشي في بعض النواحي مثل الرسوم الملونة على الجدران و التي تذكرنا بفن الشعوب الجبلية الغازية لمناطق الشرق الأدنى القديم. (أنطوان مورتكات . 1997. ص193) . و مما بقي من آثار المدينةزيقورتها الضخمة التي تقع بجانب قصر الحاكم ، تؤدي اليها ثلاثة طرق صاعدة ذات درجات مثل زيقورة أور .(عبد العزيز صالح . 2012 . ص733.)

و من النماذج العمرانية الكاشية ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية في العاصمة السومرية "أوروك" (الوركاء) التي كشفت عن معبد صغير كان قد بناه الملك "كاريندداش" في منتصف القرن 15 ق.م (طارق عبد الوهاب مظلوم . 1985.ص64. ، عبد العزيز صالح .2012. 733.) ، هبة منه للربة "إنانا" (عشتار) ، و بالرغم من أن هذا المعبد صغير في أبعاده إذا ما قيس بتلك الأبنية السومرية و الأكادية في تلك المدينة ، الا أنه يظهر لنا عدة مميزات عمرانية كاشية من حيث الأسس و ارتفاع الجدران ، بحيث يتألف المخطط العام للبناء من غرفة مستطيلة الشكل مع صالة أمامية و يحيط بالقاعة الأولى قاعات جانبية صغيرة ، مع آجر يؤلف صفوفا متناوبة بأشكال بارزة تمثل آلهة الجبال و المياه (**أنظر الشكل 2**) ، التي تستقبل الناظر اليها وجها لوجه .و قد عثر على نماذجها في عدة مدن مثل "أور" "نفر" و

التي تبرز مدى ارتباط الفن النحت العمراني الكاشي مع الأصول الجبلية لهم .(أحمد أمين سليم .2000.ص250 ، محمد بيومي مهران . 1990 .ص301.)

2.3 . في عمليات النحت و النقش :

اشتهر العهد الكاشي بالنقش البارز على أحجار الحدود و المعروفة بأحجار "الكودورو" (**أنظر الشكل 3**) التي تكاد تكون المثال الوحيد عن فن النحت الكاشي(برهان الدين دلو . 2014 ، ص435.) هي علامات من الحجر لتحديد الأراضي الزراعية ساهمت كمصدر مادي في توضيح بعض من مميزات هذا العهد خاصة في المجالين الاقتصادي و الفني ، و عثر على العديد من نماذجها في مدينة "سوسة" عاصمة العيلاميين ، و التي نقلت من بلاد بابل في شكل غنائم لتلك الحرب التي شنها أحد ملوك عيلام على البلاد في العهود اللاحقة ، و تتميز هذه القطع بشكلها الطولاني المخروطي الذي يتسم . أغلب الأحيان . بعدم الاتقان في نحت جوانبه ، و لقد صنعت هذه الأحجار لتكون علامات مقدسة تفصل بين حدود الملكيات الزراعية التي قام الملك الكاشي بإقطاعها لموظفين كبار أو كهنة أو وقفها للمعابد ، و تحمل هذه الحجارة من المعلومات نص اقطاع الأرض و بجانبه صفا طويلا من رموز الآلهة أو شعارات لها كشهود على صحة نص الوثيقة . (طارق عبد الوهاب مظلوم .1985 . ص63. ، أنطون مورتكات . 1997.ص194.، ل ديلابورت . 1997.ص 52. ، محمد بيومي مهران .1990 .ص302. ، Georges Roux. Op-cit .P251.)

الشكل2 : واجهة لمعبد "إنانا" في مدينة "أوروك". الفترة الكاشية. القرن 15 ق.م . بمتحف الشرق الأدنى القديم . برلين . (أنطون مورتكات ، 1997 .ص411.)

الشكل 3 : حجر "الكودورو" لتحديد حدود الملكيات الزراعية .(أنطون مورتكات ، 1997 ،ص412)

و من إضافات العهد الكاشي تلك التي مست نحت الأختام الأسطوانية في العراق القديم، بحيث أصبحت تخصص سطحا كافيا للأسطورة الكتابية بدل الصورة المرسومة على الختم (عكس ما كان معمولا به في العصور السابقة) ، و أصبحت الأسطورة تتصف بالطول لتعرضها لذكر صلوات تفصيلية، و تم الابتعاد في الأختام الكاشية عن تخيل الآلهة و رسمها على صورة إنسان في فن الرسم و النحت . ومن الممكن لهذه الظاهرة الفنية أن ترتبط بتلك العلاقات القديمة للطبقة الحاكمة الكاشية بالديانة الهندية الغربية، و في هذا العهد كثرت صناعة الأختام الاسطوانية من مادة اليشب و من العقيق اليماني. (سامي سعيد الأحمد .1983 . ص153 ، وأنظر: عبد العزيز صالح . 2012 . ص731.).

3-3 . في المجال الأدبي :

و تميز الأدب الكاشي بكونه أدبا مقلدا ، وجعلوا من النصوص الأدبية البابلية نموذجا يحتذى به في مختلف أصناف الأدب(سامي سعيد الأحمد .1983 . ص145. ، عبد العزيز صالح . 2012 . ص745.)، لكن يرجع الدارسون الكثير من النصوص الأدبية التي اشتهرت ضمن أدب بلاد الرافدين الى العهد الكاشي و بخاصة تلك النصوص التي تحاول تعليل هذا الحكم الأجنبي و ربطه بتدهور الأوضاع الاقتصادية و تقييد الحرية الأساسية و اختصارا تم رد ذلك الى ابتعاد الآلهة عن أتباعها و غضبها عليهم ، و كان لابد من إيجاد سبب لهذا التخلي و فسر كهنتهم ذلك بإثم اقترفه الشعب البابلي بحق آلهته ، غير أن من نصوص الأدب التي تمت صياغتها تتحدث على أن بعض الأشخاص قاموا بجميع

واجباتهم اتجاه الآلهة لكنها تخلت عنهم و مختصرها أن الصالح يصاب بالكوارث في بلاد بابل في حين ينعم الظالم بالسعادة و بخيرات هذه الدنيا .(أنطوان مورتكات ، 1997 ، ص ص 196-197 . بتصرف .)

و من نماذج ذلك النص المعروف بـ "التقي المعذب " و التي مطلعها "**لأمجدن رب الحكمة** " ما اصطلح الباحثون على تسميته باسم " قصة أيوب البابلي " و معنى عنوان هذه القصة في الأصل البابلي " لأمجدن رب الحكمة " و المقصود برب الحكمة هو معبود بابل " مردوخ " ، (27 مقطعا بكل منها 11 بيت) و بالتالي زادت أبياتها عن 500 بيت و قد دونت في أربعة ألواح. (سامي سعيد الأحمد .1983 . ص147 ، عبد العزيز صالح . 2012 . ص746.).

و يرجح أن هذه القصة تدور حول أحد الأمراء البابليين و اسمه " شبشي . مشري . شكان " و ذلك حوالي النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد و كان شخصا متعبدا و في ذلك يقول في وصفه لتقواه **" لم أعرف في حياتي سوى العمل الصالح و العبادة و شغلت أفكاري بالتضرع إلى الآلهة و التضحية والتقرب إليها ، ويبعث تمجيد الملك المسرة لقلبي و الموسيقى التي تعزف له مثار غبطتي و سروري، ألزمت أهلي و أتباعي مراعاة شعائر الآلهة و عبادتها ، و علمت الجند طاعة القصر ، لأن هذه الأعمال تسر الآلهة "**(طه باقر.1976.ص ص147-148،فاضل عبد الواحد علي . 1985. ص320.) و وصلنا من هذا العهد كذلك نص أدبي شعري آخر في شكل حوار بين صديقين تميز بأسلوبه البليغ .(أنطوان مورتكات . 1997 .ص199.)

4-3. **في مجال الديانة** : و نعلم أن الكاشيين في مجال المعتقدات و المعبودات الدينية قد احتفظوا بآلهتهم الخاصة التي أتوا بها من موطنهم الأصلي ، و يظهر ذلك لأنهم استشهدوا بها كأول الآلهة عند ابرامهم للعقود المختلفة ، غير أننا لا نعلم تفاصيل هذه المعتقدات و الطبيعية الوظيفية لهذه الآلهة و مهامها و طبيعتها أو حتى شكل كيفية عبادتها أو دورها الخلقي .(أنطوان مورتكات . 1997 .ص199.) ، و الثابت تاريخيا أنهم داوموا على عبادة آلهتهم القومية غير أنهم في الوقت نفسه عبدوا الآلهة البابلية أيضا ، والملاحظ في أسماء الآلهة الكاشية إنها ترجع الى أصول هندو - أوربية تنتهي أغلبها بالمقطع " آش " مثل " برياش " و "انداش " و " دنياش " وقد أدخلت أسماء هذه الآلهة في تركيب أسماء كثير من الملوك الكاشيين .(BRINKMAN A. 1976. P117). كما يظهر أنهم ساووا بين آلهتهم الأصلية و الآلهة البابلية ومثاله "شيباك" جعلوه مساويا لـ"مردوخ" و الإله "خارجي "مطابقا لـ"إنليل". (محمد بيومي مهران. 1990 . ص300.)

وهذا ما نلمسه كذلك في محاولات الكهنة في هذا العهد . بتوجيه من الملوك الكاشيين . و بتأثير من ترسبات الأفكار الهندو أوربية الغربية في تنقيح الملاحم الدينية في النصف الثاني من الألف الثاني ق.م

و نتيجة لذلك حذفت من الملاحم الأسطورية تلك الصفات البشرية للآلهة و مثاله غض البصر عن صراع الآلهة قيما بينها . (أنطون مورتكات .1997. ص ص194-195.. بتصرف .).

و على أساس تأثر الكاشيين بتفوق حضارة العراق القديم ، فإنهم لم يخلفوا لنا نصوصا مدونة بلغتهم ، بل استعملوا الخط المسماري واللغة الأكادية باللهجة البابلية في تدوين شؤون حياتهم المختلفة، وعلى الرغم من أن الكاشيين اقتبسوا بصورة عامة المقومات الحضارية لبلاد وادي الرفدين فإنهم مع ذلك جاءوا ببعض التجديدات التي تميز عصرهم . ومن ذلك استعمالهم اسما جديدا لبلاد بابل هو " كار – دنياش" (بلاد دنياش) وهو أحد الآلهة الكاشية ، و لكن مما تجدر ملاحظته إن ملوكهم استعملوا أيضا ألقاب الملوك المعروفة في بلاد الرافدين مثل ملك سومر وأكد وملك بابل. و من الأمور التي أدخلها الكاشيون سلالات جديدة من خيول سهوب آسيا و التي طغت شيئا فشيئا على سلالة "السيسي" القديمة و أنواع الحمير الجبلية ، وسرعان ما استخدموها بأعداد كثيرة حتى أبحت قطعان الخيول تصدر من بابل الى مصر القديمة(جورج كونتينو 1986 ص 104 ، محمد بيومي مهران. 1990،ص 300.) ، كماء يشار إليهم حين غيروا بعض وحدات الأوزان و المقاييس. (عبد العزيز صالح .2012،ص 733.) .

4. **العلاقات الخارجية للكاشيين**:

في المجال الدبلوماسي يستنتج من مراسلات "تل العمارنة" أن العلاقات بين الكاشيين و مصر كانت قائمة دبلوماسيا منذ حكم "تحتمس الثالث" في مصر ، وكان "كارانداش الأول"(الملك السادس عشر من الأسرة الكاشية حوالي 1425 ق . م) يتراسل مع "أمنحوتب الثالث"، وكان خلفه الثاني" كادشمان . إنليل الأول " على خير علاقة مع البلاط المصري، هذا ولقد تطورت القوانين الدبلوماسية وكذلك لهجة المخاطبة التي أخذ يتبعها العالم المتمدن بما في ذلك مصر. (ل. ديلابورت .1997 ،ص52.) ،ومن مظاهر الناحية الدولية في العصر الكاشي لبابل أن الملك الكاشي "كادشمان .إنليل الأول" قد اتبع سياسة الصداقة مع الملك المصري "أمنحوتب الثالث" مما يؤكد على مدى التوافق بين الملكين على سياسات النفوذ في الشرق الأدنى (**أنظر الشكل 4**)وعلى مدى الاتصال السياسي الحضاري المباشر بين هذه الدول. (رشيد الناظوري. 1958. ص 68)

الشكل 4: دول الشرق الأدنى القديم . عهد العمارنة .(محمد حرب فرزات .عيد مرعي، 1994،ص158.)

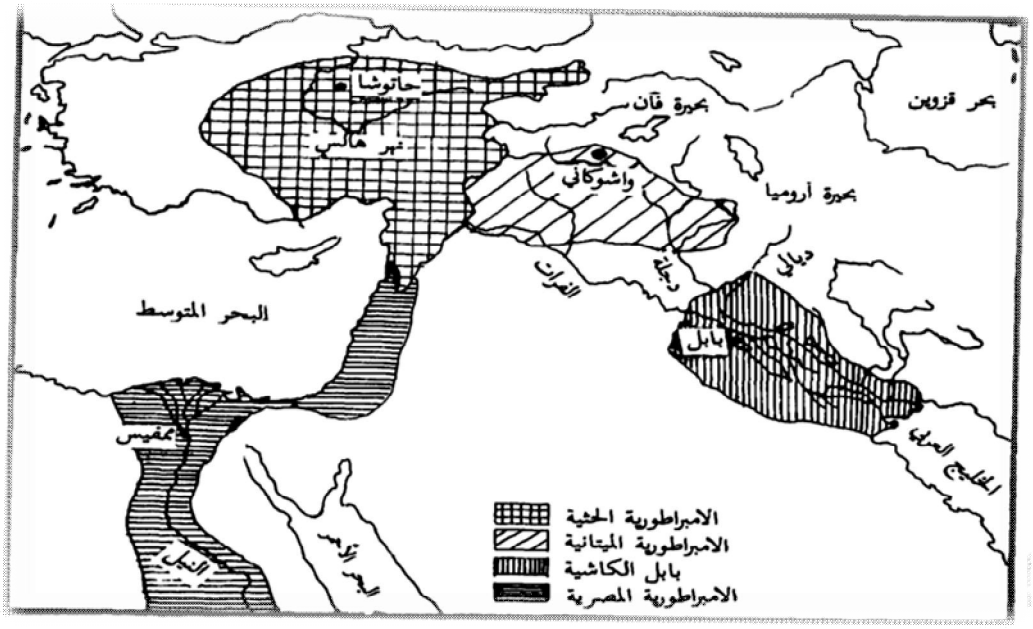

و تظهر هذه المراسلات المكتوبة بالمسمارية التي وجدت بالعاصمة الفرعونية "أخيتاتون" أن تبادل الرسائل كان نشطا بصفة خاصة مع الملكين الكاشيين "كادشمان إنليل " و "بورنا بورياش" ، و لكن الرسائل التي في حوزتنا من هذين الحاكمين مصاغة بلهجة أكثر قوة و إحساسا بالذات من تلك الصادرة من بلاد "ميتاني" و تدل على أن الملوك الكاشيين كانوا يعتبرون أنفسهم أكفاء للفرعون ، فمثلالم يجرء أحد من حكام "ميتاني "أن يطلب يد أميرة ملكية مصرية ، و كان الأمر عكس ذلك من طرف ملوك بابل الكاشيين، فعندما طلب "أمنحوتب الثالث" ابنة "كادشمان إنليل" ليضمها الى حريمه ، أعطيت له بدون تردد ، و لكن طلب الملك الكاشي قوبل بالرفض من الفرعون المصري متحججا بكون الطلب منافيا للتقاليد الفرعونية ، ولذلك رد "كادشمان . إنليل" بشكل منطقي على ذلك الرفض بالقول : "" **إنك يا "أخي" كتبت الى بأك لن تسمح لابنتك بالزواج (مني) قائلا إنه لم يحدث أن أعطيت ابنة ملك مصر لأحد من قبل ، دعني أسألك لماذا ؟ إنك أنت الملك و مشيئتك نافذة ، إذا كنت راغبا في إرسالها فمن ذا الذي يعترض؟** "". (ج شتيندورف . ك سيل .1990 . ص131.)

وكتب ملك بابل الكاشي "بورنا بورياش" إلى ملك مصر "أمنحتب الثالث" رسالة تبدأ بديباجة كما هو معروف في الرسائل بين الملوك المتساوين ثم قال:"" **لقد انحرفت صحتي منذ اليوم الذي جاء فيه رسول أخي ،و لم يشجعني أخي في طول المدة التي بقيتها صحتي منحرفة ،ولقد استأت من أخي وقلت: ألم يسمع أخي أنني مريض لماذا لم يبعث لي رسولا ولم يظهر اهتماما بي، ولقد أجاب رسول أخي عن ذلك بقوله: إن مصر ليست قريبة لكي يسمع أخوك بمرضك و يرسل إليك رسولا يستعمل**

أخبارك و في الواقع إنني استفهمت من رسولي فقال لي : إنها رحلة طويلة جدا ، فمنذ سمعت ذلك لم يبق في نفسي استياء من أخي"".(D.J.S Pendelbury ,1936, p117)

و نستنتج من ذلك رغبة الملك البابلي الكاشي في الحصول على كلمة من مصر تسأل عن حاله أثناء مرضه ، كما يلاحظ كثرة استعمال لفظ" أخ" حيث بلغت ست مرات في سبعة أسطر مما يظهر مدى توطد العلاقات بين الملكين ، و الظاهر أن ملك أشور وملك بابل كانا يتسابقان للتحالف مع ملك مصر لأنهما كانا يريان فيه أمنا لتجاراتهما في وجه ملوك جنوب سوريا و فلسطين التابعين لمصر (عبد القادر حمزة، 1957، ص103) ، و كانت المسائل السياسية تأتي أحيانا ضمن مواضيع المراسلات الكاشية المصرية ، و مثالها لما طلب ملك أشور مساعدة مصر ضد سيده ملك بابل الكاشي "بورنا بورياش" كتب هذا الأخير الى بلاط الفرعون بأن يرفض هذا الطلب بلا قيد أو شرط ، لأنه حدث في ظروف مشابهة أن طلب بعض الكنعانيين الذين هم تحت السيادة المصرية المساعدة من بابل فرفض أن يساعدهم . (ج شتيندورف . ك سيل .1990 . ص132.)

و كتب "بورنابورياش" كذلك الى "أمنحوتب الرابع " :"" **حينما كان والدي "كوريجالزو " حيا أرسل إليه ملك كنعان رسولا قال فيه "هيا فالتدخل مدينة كارميشت ، ولنحارب الفرعون معا" ،فبعث إليه أبي يقول " لا تفكر في الاتفاق معي ، فإن كنت تريد معاداة ملك مصر فابحث لك عن حليف غيري " و "هكذا والدي أن يصغي إلى ملك كنعان حبا لك و الآن فإن ملك أشور تابع لي و لست في حاجة لأن أقول لماذا هو يطلب صداقتك فإن كنت تحبني فلا تعقد معه معاهدة و أطرده بعيدا جدا ."""** (ل . ديلابورت .1997 . ص51.)

ليظهر موضوعين آخرين تناولتهما رسائل "تل العمارنة" و المتعلقان بطلب زواج ملك بابل من ابنة "أمنحوتب الثالث " لكن طلبه رفض ، بالإضافة لطلب ملك بابل "بورنابورياش" المزيد من ذهب مصر، و كانت هذه المصاهرة تعتبر متممة لمعاهدات التحالف فكان ملك مصر يرى أن زواجه من بنت الملك المجاور له أو من أخته . وفي بعض الأوقات منهما معا . ضمان على أن هذا الملك لا يخرج عليه و كان هذا الملك . حليف مصر . يرى من ناحيته أن هذا الزواج ضمان له على أن يبقى متمتعا برعاية ملك مصر و لهذا نجد ذكر المصاهرة يتردد في كثير من رسائل "تل العمارنة ". (عبد القادر حمزة، 1957، ص102)

و عندما اضطرب الأمن بين الأموريين و الكنعانيين في الشام خلال عهد الفرعون المصري "أمنحوتب الرابع" و تأثرت المتاجر البابلية بفوضى الطريق في أرض كنعان ، و لم يجد الملك البابلي الكاشي غير الفرعون المصري يستصرخه ليؤمن تجارته و يقول له "**كنعان أرضك و أمرائها مواليك "و** أرسل له مع رسالته هدية ثلاث مينات من اللازرد و خمسة جياد و خمس عربات.(سامي سعيد

الأحمد .1983، ص139،عبد العزيز صالح .2012 . ص 735، عبد القادر حمزة. 1957ص103، محمد بيومي مهران .1990، ص310) و على أن كبار التجار كانوا مرتبطين مع القصر البابلي (الكاشي) بعلاقة وثيقة فقد عمل الحكام البابليون على حماية حقوق تجارهم ،و مثاله أن كتب ملك بابل الكاشي "بورنابورياش" بهذا الخصوص الى الفرعون المصري يطلب منه التعويض عن قافلة بابلية تعرضت للسلب في منطقة خاضعة للسيادة المصرية و التي تقع في فلسطين .(محمد حرب فرزات . عيد مرعي .1994، ص154 .)

و تميزت العلاقات الخارجية للكاشيين مع الدولة الأشورية بالحذر و عدم الثقة ، و ذلك راجع الى التنافس و الجوار الجغرافي و المصالح المتباينة ، ولم تك أشور ذات شأن في بداية الأمر ، وحدث أن تصاهر البيتان الحاكمان في أشور و بابل فتزوج الماك الكاشي "كاروناش " من ابنة الملك الأشوري" أشور أوباليط " و جعل ابنها ولي عهده ، فعز ذلك على الأمراء الكاشيين أن يتولى شؤونهم من يحمل دملء أشورية و تم اغتياله و ولوا غيره مكانه(.P262، 1992 . Georges Roux ، محمد بيومي مهران، 1990 .ص311. ، و يظهر التنافس بين الطرفين في التقرب من فرعون مصر إذ أنه لما راسل الملك الأشوري فرعون مصر احتج الملك الكاشي لدى مصر لأنه كان ينظر الي الأشوريين كونهم أتباعه . (سامي سعيد الأحمد ، 1983، ص 139 ، عبد العزيز صالح ، 2012 ، ص 736.)

الخاتمة : (عرض النتائج)

يمكن القول أن هذه الفترة من تاريخ بلاد ما بين النهرين و التي تجاوزت الأربع قرون . تعد الأطول زمنا و الأكثر غموضا . ضمن السلالات البابلية . ، برغم محاولات الدارسين تتبع الدلالات المادية و الأدبية التي تشير الى تفاصيل التاريخ الكاشي بالمنطقة .

- لعل المتسبب الرئيس في شح الفترة الكاشية من حيث المعرفة التاريخية و المجهود الحضاري الظاهر عائد الى الطابع البدوي و الأصول الجبلية لهؤلاء القادمين الى ارض النهرين، كما ان انعزالهم ثم تشكيلهم لأرستقراطية سياسية و كونهم دخلاء ، لم تمكنهم من الابداع .

- ،يحسب لهؤلاء الكاشيين حفاظهم على السلطة السياسية بعد الحثيين لفترة طويلة ، إضافة الى انفرادهم بعدة مساهمات حضارية في المجال العمراني و الأدبي ، و كذلك بعث الاستمرارية في الحفاظ على تفاصيل الثقافة البابلية لتصل الى الفترات اللاحقة ، في فترة كانت تتنازع المنطقة امبراطوريات عنيفة .

كما تجدر الإشارة الى الدور الكبير الذي لعبه الكتبة الكاشيون في نقل نماذج الأدب الرافديني إلينا ، إضافة الى فضل اللغة الأكادية . البابلية خلال هذا العهد و التي حلت كلغة مراسلات دولية ساهمت في تعريفنا بواقع العلاقات الدولية بعموم منطقة الشرق الأدنى القديم .

قائمة المراجع :

المراجع بالعربية :

1 . أبو السعود صلاح . (2011)، تاريخ و حضارة الحثيين . ط1 . الجيزة . مكتبة النافذة .

2 . الناظوري رشيد . (1958) . دراسات في بعض معالم تاريخ وحضارة منطقة الشرق الأدنى القديم . د:ط .القاهرة . المكتب المصري الحديث .

3. أهمز محمود . (2010) . في تاريخ الشرق الأدنى القديم . ، د :ط .القاهرة . دار النهضة العربية . 2010.

4 . باقر طه . (2011) .مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة. ط1. ج1 .بغداد . دار الوراق للنشر .

5. // // .(1976) . مقدمة في أدب العراق القديم . د: ط، بغداد . دار الحرية ، بغداد.

6. توفيق سليمان . (1985) .دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة ، منذ أقدم العصور حتى 1190 ق.م . الشرق الأدنى القديم. بلاد ما بين النهرين و الشام . .ط1 .دمشق . دار دمشق .

7. حمزة عبد القادر . (1957) . على هامش التاريخ المصري القديم . د:ط ، القاهرة . مطابع الشعب .

8. دلو برهان الدين .(2014) . حضارة مصر و العراق. التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي و الثقافي و السياسي،ط2 .بيروت . دار الفارابي .

9. ديلابورت ل . (1997) ، بلاد ما بين النهرين. الحضارتان البابلية و الأشورية . ط2. تر: محرم كمال .القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

10. روتن مارغريت . (1984)، تاريخ بابل . ط2 .تر: زينة عازار و ميشال أبي فاضل . بيروت - باريس .منشورات عويدات.

11. سليم أحمد أمين (2000) . دراسات في تاريخ و حضارة الشرق الأدنى القديم ، تاريخ العراق ، ايران . آسيا الصغرى . د:ط .الاسكندرية .دار المعرفة الجامعية .

12. شتيندورف ج . سيل ك (1990) . عندما حكمت مصر الشرق . ط1. تر: محمد العزب موسى . القاهرة . مكتبة مدبولي .

13. صالح عبد العزيز ، الشرق الأدنى القديم (2012) ، ج1، مصر و العراق . القاهرة . مكتبة الأنجلو مصرية.

14. فاضل عبد الواحد علي (1985). حضارة العراق . د:ط . ج1 ، بغداد . دار الحرية للطباعة .

15. فرزات محمد حرب . مرعي عيد (1994) . دول وحضارات في الشرق العربي القديم . ط2 . دار طلاس . دمشق .

16. فخري أحمد . (1963) . دراسات في تاريخ الشرق القديم . ط2 . القاهرة . مكتبة الأنجلو المصرية .

17. كونتينو جورج .(1986). الحياة اليومية في بابل و آشور .(ط2). تر: سليم طه التكريتي . بغداد . دار الشؤون الثقافية.

18. محروس إسماعيل حلمي .(1997) . الشرق العربي القديم و حضارته (بلاد ما بين النهرين و الشام و الجزيرة العربية القديمة)، د:ط . الإسكندرية . مؤسسة شباب الجامعة .

19. مظلوم طارق عبد الوهاب . (1985) . النحت من عصر فجر السلالات الى العهد البابلي الحديث . حضارة العراق .د:ط . ج4 . العصور القديمة. بغداد . دار الحرية .

20. مورتكات أنطون . (1967) . تاريخ الشرق الأدنى القديم .تر: توفيق سليمان . دمشق .مطبعة الإنشاء .

21. مهران محمد بيومي .(1990) . مصر و الشرق الأدنى القديم ج(10) . تاريخ العراق القديم . د:ط . الإسكندرية . دار المعرفة الجامعية .

المراجع بالأجنبية :

1-Barbara A Somervill . 2010 , Empires of Ancient Mesopotamia. , New york . Ed ;chelsea house

2- BRINKMAN A.,(1976). Materials and Studies for Kassite History . Chicago.

3- Georges Roux.(1992) . Ancient Iraq , third ed , London ; .ed ; Penguin books.

4- D.J.S Pendelbury .(1936) ,les Fouilles de Tell-El –Amarna et L'époque Amarnienne, trad: Henri Wild, Paris , ed : Payot .

المجلات :

1 . الأحمد سامي سعيد. (1983) ، ""فترة العصر الكاشي "، مجلة سومر ، المجلد 39، ج1 ، بغداد. ص، ص 134-156.

2. سولبيركر أدموند .(1975). "بدايات بابل"، مجلة سومر ، العدد 17 . بغداد . ص،ص 28-30.

3-Walter Sammerfeld,(1995). "The Kassites of ancient Mesopotamia: Origins, politics and culture" in C.A.N.E, vol. II. New York .PP 917-930.

الموسوعات و القواميس :

1 . عبودي س هنري .(1991). معجم الحضارات السامية . ط2 . بيروت . جروس برس.

2 . نخبة من العلماء .(1997) . الموسوعة الأثرية العالمية . ط2 . تر: محمد علد القادر محمد و زكي اسكندر، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

الدراسات الأكاديمية :

1 . العيداني سمير .(2016-2017) . العلاقات الحضارية بين مصر و شعوب بلاد الرافدين ، العلاقات الدينية أنموذجا (1580 ق.م . 332 ق.م) ، رسالة دكتوراه ، اشراف :الطاهر ذراع ، جامعة الجزائر. 2 . (غير منشورة).